

قراءة في عوامل وأسباب طول مدة احتلال الإسبان لمدينة وهران

A reading of the factors and reasons for the Spanish prolonged occupation of Oran.

أ.د/ جيلالي بلوفة عبد القادر / أ/ سيدي محمد رامي
قسم التاريخ جامعة أوبكر بلقايد تلمسان

الملخص:

بعد سقوط إمارة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس سنة 1492م أصبحت سواحل شمال إفريقيا عرضة للتحرشات الإسبانية والبرتغالية لملاحقة مسلمي الأندلس الفارين من محاكم التفتيش والتنصير القصري، وكذلك لضرب القواعد الخلفية التي كانت تدعم باستمرار التواجد الإسلامي في الأندلس. انطلاقا من ذلك يعالج هذا المقال الإحاطة بمدينة وهران أثناء الحصار والاحتلال الإسباني طيلة ثلاثة قرون.

الكلمات المفتاحية:

وهران، الفترة الحديثة، الصراع الإسلامي الصليبي، البحر المتوسط، أسبانيا.

Abstract:

After the fall of the Emirate of Granada, the last Muslim stronghold in Andalusia in 1492 AD, the coasts of North Africa became vulnerable to Spanish and Portuguese harassment to pursue the Muslims of Andalusia fleeing the Inquisition and forced Christianization, as well as to strike the rear bases that were constantly supporting the Islamic presence in Andalusia. Based on that, this article deals with the coverage of the city of Oran during the Spanish siege and occupation for three centuries.

Keywords: Oran; the modern period; the Islamic Crusade conflict; the Mediterranean; Spain.

مقدمة:

قامت إسبانيا على وجه الخصوص مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م وبدعم من الكنيسة في أوروبا باحتلال العديد من المدن الساحلية في بلاد المغرب الاسلامي على غرار سبتة وبجاية ووهران والجزائر وجربة، بسهولة تامة في ظل الضعف الذي كانت تعاني منه الدول في تلك المنطقة، لكن ظهور الإخوة بربروس في البحر المتوسط كقوة عسكرية مهمة في وجه العدوان الإيبيري نصرة وحماية لمسلمي الأندلس جعل سكان وأعيان المدن الساحلية المحتلة والمعرضة لخطر الاحتلال تستنجد بهم، وكانت تلبية الإخوة بربروس لهذا النداء وتحريرهم للعديد من هذه المدن إيدانا باستقرارهم في الجزائر وتأسيس ولاية عثمانية في الجزائر، وبعد ذلك كثفوا محاولاتهم لتصفية الوجود الاسباني نهائيا من سواحل المغرب العربي على العموم والجزائر ثم تونس على وجه الخصوص، ومع منتصف القرن 16م لم يعد وجود للإسبان في الجزائر إلا في مدينة وهران والمرسى الكبير، هذا الثغر استعصى على العثمانيين في الجزائر فتحه رغم المحاولات العديدة والمتواصلة، ولم يتسنى لهم ذلك إلى بعد مرور حوالي ثلاثة قرون من احتلالهما، وهذا يجعلنا نتساءل عن العوامل والأسباب التي ساعدت على طول مدة بقاء الاحتلال الإسباني في مدينة وهران.

وانطلاقا من هذا الاشكالية يمكن طرح العديد من التساؤلات منها:

- ما هي العوامل والظروف التي سبقت احتلال الاسبان لمدينة وهران؟
 - ماهي خصوصية ومميزات المدينة التي جعلت منها هدفا رئيسا للاحتلال الإسباني؟
 - ما هي أهم العراقيل التي واجهت حملات تحرير مدينة وهران؟
 - ما أسباب تمسك الاسبان بمدينة وهران؟
 - ما هي العوامل والأسباب العامة التي أخرت تحرير مدينة وهران؟
- لمعالجة الاشكالية والإجابة على التساؤلات المطروحة استعنا بجملة من المصادر والمراجع لمؤرخين مغاربة وإسبان وفرنسيين في مقدمتهم كتابا "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي و"دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" لابن يوسف الزياني، اللذان حققهما الشيخ المهدي البوعبدلي، وكتبان للمؤرخ الإسباني Fray Diego de Haëdo وهما "Histoire des rois d'Alger" و"De la captivité à Alger"، بالإضافة إلى كتاب "حرب الثلاثمائة سنة" لأحمد توفيق المدني، وكتاب "Histoire D'oran, Avant Pendant Et Après La Domination Espagnole" Henri-Leon Fey J

أولا: وهران قبل الاحتلال الإسباني:

تقع وهران شمال غرب الجزائر داخل خليج مفتوح على مسافة 28 كلم وبعمق (العرض) 11 كلم¹، المدينة مبنية على جانبي فج الرحي، تشغل مساحة 72 هكتار، وقد أحصيت الديار عند الاحتلال الاسباني للمدينة فكانت ستة آلاف (أي نحو 30 ألف ساكن)².

لم يذكر الشئ الكثير عن تاريخ وهران القديم، تقول بعض الأخبار أنها كانت مستعمرة رومانية تدعى كيزة (QUIZA)³، وقيل أن الأفارقة الأقدمون بنوها على شكل قرية بربرية ضعيفة اسمها "إيفري" (أي الكهف)⁴، لكن الأكيد أن مرساها الكبير يتمتع بشهرة واسعة، حيث كان يدعى المرسى الإلهي Portus Divinus⁵، ويقول فيه ابن حوقل «...ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح وما أظن له مثيلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى فقد اكتنفته الجبال وله مدخل امن...»⁶

ويعتبر مسلمي الأندلس المؤسسين الحقيقيين لمدينة وهران وذلك سنة 902م، على يد القائد "خضر" أيام الأمير عبد الله الأموي (والد الخليفة عبد الرحمن الثالث) فوق أرض كانت من ممتلكات قبيلتي مغراوة ونفزاوة⁷.

بعد سقوط غرناطة عام 1492م في أيدي النصارى الأسبان هاجر إلى وهران عدد كبير من مسلمي الأندلس واستقروا بها، وفي مطلع القرن 15م كانت تخضع وهران للسلطان الزياني "أبو حمو موسى الثالث" وفي عهده بدأت هجمات الأسبان والبرتغاليين على وهران والمرسى الكبير.⁸

غزاها البرتغاليون أولا سنة 1415م خلال عهد الملك البرتغالي "جاء الأول" (le roi Jean I^{er}) وعندما طرد البرتغاليون منها، تحولت إلى ملجأ كبير للمهاجرين الأندلسيين الذين تمركزوا بها و سيطروا على إدارتها واتخذوا ميناءها مركزا لأسطولهم ومراكبها البحرية التي كانوا يشنون بها غاراتهم الانتقامية والمضادة للبرتغاليين والأسبان في البحر وعلى الشواطئ الأندلسية، ثم استعاد "بنوزيان" سيطرتهم عليها ثانية.

وما بين 1471م و1479م هاجمها الملك البرتغالي "ألفونسو الخامس" و احتلها لمدة 7 سنوات ثم أرغمه السكان للخروج منها⁹، وبعد 20 سنة من هذا التاريخ هاجمها الأسبان عام 1497م بقيادة الدوق "دومينا سيدونا" وفشلوا في احتلالها، إلى أن احتلها الإسبان سنة 1509م.¹⁰

ثانيا: الإحتلال الإسباني لمدينة وهران:

مع بداية القرن 16م، اشتدت الغارات الإسبانية على وهران والمرسى الكبير، ففي شهر أوت 1505م قاد الماركيز "غوماريس" حملة بحرية تتكون من 5000 رجل واتجه بها إلى المرسى الكبير وحاصرها لمدة 50 يوما ثم أحتلها¹¹ بعد أن طرد سكانها منها وحول مسجدتها إلى كنيسة سميت بكنيسة "القديس ميغال".¹²

وفي عام 1509م أتم الكاردينال "كازمينيس" استعدادته وخاض أسطولته البحري في منتصف شهر ماي صحبة القائد "بيدرو نفارو" على رأس 1500م رجل ونزل بالمرسى الكبير ومنها اتجه إلى مدينة وهران¹³ واستعان باليهودي الماكر "الماكس" وبعض أعوانه من الخونة ففتحو له أحد أبواب المدينة غدرا، وهاجم السكان بوحشية وقتلوا الآلاف وأسروا ونهبوا، وقام الكاردينال "كازمينيس" بتحويل المساجد إلى كنائس.¹⁴

ويمكن تلخيص أسباب إحتلال الإسبان لمدينة وهران فيما يلي:

- تخليص المسيحية من أعمال القرصنة التي كانت تنطلق من ميناء وهران باتجاه سواحل قطلونية وجزر ميورقة ومنورقة.¹⁵

- ملاحقة الأندلسيين والانتقام منهم ومن يأتوهم خاصة في الجزائر في مدينتي الجزائر وهران.

- أهمية مدينة وهران بالنسبة للإسبان بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي القريب من إسبانيا وأهميتها الاقتصادية بوجودها كبوابة إفريقية وبمناخها الملم.

- جعل وهران بعد احتلالها بوابة للتوغل في إفريقيا لأن إكسيمينز أراد إحتلال كل إفريقيا الشمالية من أجل زيادة قوة المسيحية الكاثوليكية وإسبانيا.¹⁶

بعد احتلال الإسبان لوهران والعديد من المدن الساحلية للجزائر، واستنجد أهالي وأعيان هذه المدن بالإخوة بربروس، والذي مهد لدخول العثمانيين إلى الجزائر، أصبحت هذه المدن المحتلة ومن بينها وهران الشغل الشاغل لخير الدين وحيوشه، حيث توالى فتوحاتهم لهذه المدن، ومع منتصف القرن 16م تمكن العثمانيون في الجزائر من تحرير كل المدن المحتلة من قبل الإسبان عدا وهران والمرسى الكبير¹⁷، اللتان استعصتا عليهن، رغم المحاولات المتكررة والمتواصلة طول مدة بقاء الإسبان بهما، وفي هذا يتحدث صاحب كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" ابن يوسف الزياني عن "رباط وهران" الذي أحياه الباي محمد بن عثمان، ويقول أن حصار مدينة وهران لتحريرها دام طول مدة احتلالها.¹⁸

بالنظر لهذه الجهود، إذن ما هي العوامل والأسباب التي أعاققت العثمانيين وأخرت تحريرهم لمدينة وهران إلى غاية سنة 1792م؟

وانطلاقا من قراءات وتصفحات لعدد من المصادر والمراجع تبين لنا أن الأسباب والعوامل التي أخرت تحرير مدينة وهران مترابطة ومتراكمة داخلية وخارجية، طبيعية إستراتيجية، سياسية وعسكرية...

ثالثا: عوامل وأسباب تأخر تحرير مدينة وهران من الإسبان:

1- ضعف دولة بني زيان وتعاونها مع الإسبان:

كانت دولة بني زيان في تلمسان بحكم موقعها الجغرافي منذ إنهيار دولة الموحيدين بين نارين في حرب دائمة مع بني مرين ملوك المغرب ومع بني حفص ملوك تونس، ومع نهاية القرن الخامس عشر شهدت دولة بني زيان كباقي دول المغرب الإسلامي ضعفا وانحطاطا بسبب فساد النظام الملكي وضعفه، وزادت معاناتها مع تدفق الآلاف من المهاجرين الأندلسيين الذين أطلعوا سكان تلمسان ووهران وباقي مدن الجزائر على جرائم الإسبان وحذروهم من نواياهم نحو بلاد المغرب الإسلامي.¹⁹

ومع أن جملة من العلماء كانوا يتوقعون هجوم الإسبان فحذروا من ذلك إلا أن الحملة الإسبانية على وهران وجدت سهولة بالغة في احتلال المدينة، مع تسجيل استئصال مدينة المرسى الكبير التي وقعت هي كذلك في يد الإسبان، بل أن بعض أمراء تلمسان من دولة بني زيان تسابقوا للاتصال بالإسبان وعرض خدماتهم عليهم.²⁰

وكانت هذه الخدمات فقط ليحافظ السلاطين في تلمسان على ملكهم رغم ذلهم وخضوعهم للإسبان وإن كان على حساب إخوانهم المسلمين الأتراك الذين جاءوا للجزائر فاتحين ومجاهدين للغزاة المستعمرين فيما بعد.

حيث أنه وبعد أن نجح عروج بربروس في فتح تلمسان أول مرة فر السلطان الزياني منها وذهب يطلب العون من القائد الإسباني في وهران، وفي ظل تهديد قوات عروج بفتح وهران قام هذا القائد بمد السلطان الزياني بالمال (عشرين ألف دينار) ليتمكن من إعادة بناء جيشه الذي قدر بعشرين ألف، وأمدته كذلك بجيش إضافي قوامه 10 آلاف جندي، ثم توجه الجيش (العربي- الإسباني) إلى تلمسان فتمكن من دخولها وتأخير فكرة تحرير مدينة وهران، حيث أصبح الصراع مجددا حول مدينة تلمسان الذي استشهد خلال حروبه الأخوان إسحاق وعروج بربروس.²¹

إن ضعف دولة بني زيان وفساد ملوكها وتخاذلهم لم يساهم فقط في سقوط وهران، بل كان سببا رئيسيا في تمكن الإسبان من المدينة وسهولة الاستقرار بها وبناء أسوار وتحصينات سهلت تمسك الإسبان بها وتأخير تحريرها.

2- تمسك الإسبان بمدينة وهران:

كانت مدينة وهران من بين أهم المدن الساحلية للمغرب العربي ومن أهم الأهداف بالنسبة للإسبان لعدة أسباب، أهمها موقعها الجغرافي الاستراتيجي، لقربها من سواحل إسبانيا فهي تقع قبالة مدينة قرطاجنة الإسبانية، وهي تعتبر الأكثر غنا وقوة بعد مدينة الجزائر.²²

هذه الأهمية تجلت من خلال رسالة من الملك الإسباني فرديناند إلى الكونت دون بيدرو دي نافارو يؤكد فيها أن تثبيت تواجد الإسبان في إفريقيا يستوجب احتلال وهران، بجاية وطرابلس، ويضيف في نفس الرسالة أنه حتى يتمكن الإسبان من الحفاظ على المدينة بعد احتلالها يجب ملئها بالكامل بالمسيحيين وعدم إدخال المورسكيين إليها (ويعني العرب بشكل عام) وهذا ما كان فعلا.²³

ويشير العديد من المؤرخين إلى إهتمام الإسبان بمدينة وهران وقوة تمسكهم بها حيث يبين المؤرخ الإسباني لوجي دو تيسي (Laugier De Tassy) أن الإسبان عندما فقدوا مدينة وهران سنة 1708م فقدوا الشيء الكثير لأنها كانت مصدرا للعديد من العبيد والقمح والزيت والجلود والنحاس، بالإضافة إلى أنها كانت ممرا من أجل فرض الضغط على الجزائريين.²⁴

وفي سنة 1577م كان الملك فيليب الثاني يفكر جديا في التخلي عن وهران والمرسى الكبير بسبب الخسائر والهزائم المتوالية في إفريقيا، لكنه فضل في الأخير الاحتفاظ بهما على أن يتم التخلي عن الحملات الكبيرة في إفريقيا من أجل ذلك²⁵.

ويؤكد المهدي البوعبدلي في تقديمه لتحقيق كتاب "الشجر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" أن الإسبان وإن دام إحتلالهم لمدينة وهران قرابة ثلاثة قرون إلا أنه كان وبالا عليهم فقد كلفهم هذا الإحتلال والإصرار على التمسك بمدينة وهران مصاريف باهضة وضحايا بالآلاف وأيد هذه النظرية كتاب إسبانيون كالوالي فاليجو (Vallégo)²⁶ ، ففي معركة دالكادوت مثلا، التي حاول خلالها الإسبان السيطرة على مستغانم لتأمين مدينة وهران والتي دامت ثلاثة أيام فقط خسر فيها الاسبان تسعة عشر ألفا بين قتل وأسير من بينهم خمسون ضابطا، ومات خلال المعركة قائد الحملة الكون دالكادوت²⁷.

وما يؤكد أهمية وهران بالنسبة لإسبان وتمسكهم الشديد بها، هو إصرارهم على استعادتها بعد التحرير الأول سنة 1708م، ففي يوم 7 جوان 1732م أذاع ملك إسبانيا فيليب الخامس وحفيد ملك فرنسا لويز الرابع عشر على البلاد النصرانية كاملة "منشور ملكي صليبي" من أجل الإتحاد لاسترجاع وهران، فجمع 30 ألف جندي و525 سفينة، وجاء في هذا المنشور على لسان ملك إسبانيا: "فقد صممت على أن أبادر باستجاء مركز وهران ذي الأهمية العظيمة، والذي كان فيما مضى محط آمال ومظهرا لقيمة التقوى المسيحية والأمة الإسبانية"²⁸.

3- الدعم الأوربي المسيحي للإسبان:

بداية لم تكن حملة احتلال مدينة وهران لتتم في وقتها لولم يتحمل الكاردينال اكسيمينيز (Ximenez) أسقف طليطلة تكاليف هذه الحملة بعد أن اعتذر ملك إسبانيا فرديناند عن القيام بها بسبب العجز المالي.

وقبل ذلك تبنت الكنيسة صلحا بين إسبانيا والبرتغال بعد عقد معاهدة في اجتماع طرودزिला (Trodesillas) سنة 1494م لتقسيم مناطق النفوذ تجنباً للتنافس الذي يمكن أن يؤدي إلى صراع، حيث خصص البابا الذي كان حكما في هذا الاجتماع شواطئ المحيط الأطلسي للبرتغال وشواطئ البحر المتوسط للإسبان.

وبعد نجاح الحملات الأولى في احتلال بعض المدن الساحلية لبلاد المغرب ومنها وهران أعلن البابا الحرب الصليبية على هذه البلاد سنة 1518م، وأمر ملوك أوروبا بعقد مهادنة لمدة خمسة سنوات يتجاوزون فيها صراعاتهم، وتتفرغ فيها إسبانيا لحملات الاحتلال في بلاد المغرب العربي²⁹.

ففي معركة "بروزة"³⁰ في 28 سبتمبر 1538م شاركت عدة دول أوربية مسيحية في حملة بقيادة أندريا دوريا لمحاولة إنهاء سيطرة الأتراك على البحر المتوسط وحكم خير الدين والمسلمين في الجزائر لكنهم فشلوا³¹.

وعندما حاول حسن باشا تحرير مدينة وهران في حملته سنة 1563م، التي استطاع من خلالها تحرير المرسى الكبير، دارت مقتلة عظيمة بين الأتراك والنصارى على أسوار وهران دامت شهرين وأربعة أيام، استنجد خلالها نصارى وهران، فجاء من إسبانيا القائد اندريا دوريا على رأس جيش كبير، وجاء أيضا نائب ملك نابولي الدون بيرافان دي ريبيرا، وكذلك دوك القالة (Alcala)، وهذا ما أجبر حسن باشا لرفع الحصار على وهران³².

وبعد تحرير وهران الأول سنة 1708م أيدت كل البلاد النصرانية في أوروبا حملة إستعادة مدينة وهران التي دعى إليها ملك إسبانيا فيليب الخامس وحفيد ملك فرنسا لويز الرابع عشر في جوان 1732م³³.

4- القبائل المتعاونة مع الاسبان:

شهد المغرب العربي بشكل عام والمغرب الوسط بشكل خاص تدهورا في العديد من المجالات نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، وظهر ذلك جليا في ضعف الملوك وتمرد القبائل التي كانت تتمتع في تلك المرحلة بشبه الاستقلال، ولم يكن يهمها إلا مصالحها الخاصة دون الأمة أو البلد، ومع بداية الاحتلال الاسباني لبلاد المغرب كانت الجزائر مجزأة إلى نحو

خمسة عشر جزءاً، كل جزء تهيمن عليه قبيلة عربية أو بربرية، وكانت تسيطر على أغلب سهول وهران قبيلتا سويد وبني عامر.³⁴

وقد دخلت عدة قبائل مجاورة لمدينة وهران في طاعة الاسبان أيام احتلالهم للمدينة، منهم: المنازرة، قيزة، شافع، حميان، أولاد علي وأولاد عبد الله وغيرهم من بني عامر و"غمرة"، اعتمد عليهم الاسبان كجواسيس لجلب الأخبار، فقويت بهم شوكتهم وتعددت بمساعدتهم غزوات الاسبان في القريب والبعيد.³⁵

والمعاونون مع الاسبان مدة احتلالهم وهران كانوا يعرفون بالمغطيسين أو المغاطيس، يمتنون تغطيس الناس أي خطف المسلمين خاصة الأطفال وبيعهم للإسبان الذين كانوا يستعبدونهم وينصرون أطفالهم.³⁶

ولم تكتفي هذه القبائل بذلك، بل شاركت معهم في حروب ضد المسلمين الأتراك، منها أن الباي شعبان لما زحف على وهران لتحريرها سنة 1687م في أربعة آلاف مقاتل، زحف إليه الإسبان من وهران مع مقاتلين من عرب بني عامر وقيزة وغمزة وغيرهم في ثمانية آلاف أفشلت محاولة التحرير هذه.³⁷

ويشير المهدي البوعبدلي أنه لم يتم للعثمانيين فتح مدينة وهران إلا بعد إخضاع هذه القبائل لسلطتهم.³⁸

5- مناعة المدينة بموقعها بطبيعتها وبأسوارها وأبراجها:

موقع مدينة وهران الجغرافي، إستراتيجي بطبيعته، وقد ناسب الإسبان بداية لقربه من إسبانيا، وبالتالي سهولة وسرعة وصول المؤن وخاصة المدد العسكري بما أن وهران كانت تتعرض باستمرار لمحاولات الفتح العثمانية، ففي سنة 1563م عندما أوشك حسن باشا على النجاح في حملته لتحرير وهران، أرسل ملك إسبانيا فيليب الثاني مددين عسكريين، الأول تحطم بفعل العاصفة، والثاني وصل قبل أن يتم احتلال المدينة، ونجح في رفع الحصار عليها.³⁹

وتعتبر مدينة وهران حصناً طبيعياً بتضاريسها المجاورة، حيث يحدها من الجنوب هضبة مولاي عبد القادر الكيلاني، ومن الغرب جبل مرجاجو الذي يتميز بالسفوح الكهفية التي تحتوي على الأخاديد، جبالها محيطة بخليجها على شكل مربع مثل الحصن المنيع يحمي مينائها⁴⁰ وفي ذلك يقول ابن حوقل « ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح وما أظن له مثيلاً في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى...»⁴¹

إضافة لهذه المناعة الطبيعية فإن الإسبان لما دام لهم الملك في وهران بنو بها سورا عظيماً وزادوا في بناء البرج الأحمر و برج المرسى و برج مرجاجو و برج رأس العين و برج المرسى الثاني و البرج الجديد⁴² ، كما بنوا برج الدهان و برج الوزير و برج فراند و برج كارلوس، وكانت جلها محكمة وضخمة.⁴³

وكانت تحصين الأبراج والحصون يزيد مع كل هجومات تبرز نقاط ضعف جديدة، مما يتطلب تحسينها فيما بعد لتتصدى لهجومات مماثلة⁴⁴ ، وبذلك أصبحت وهران محاطة بالأبراج والأسوار من جهة الأرض كما من جهة البحر ليصبح الدخول إليها شبه مستحيل⁴⁵ ، ومن شدة مناعة الأسوار والأبراج في وهران أثناء وجود الإسبان وطول بقائهم فيها كان يعتقد أن أحداً من المسلمين لن ينالها ولو "اجتمعت ألف قبيلة، حتى صار الناس يزعمون أنه لن ينالها إلا المهدي المنتظر"⁴⁶.

يصف صاحب الثغر الجماني مناعة مدينة وهران أيام الإسبان بقوله: "هذه المدينة محوطة في امتناعها كالأسد الذي طرد إلى أن دخل وجار لا يتمكن أحد من الدخول عليه، ومتى دخل عليه أحد افترسه، أو كالحية القرشاء المستكنة بين حجرين، ما مد إليها أحد يده إلا لسعته، وهي محوطة بحصون شامخة راسخة كأنها الهضاب وفيها مدافع معدة لرمي الجنود كأنها أسود غضاب، إذا زارت شقت المار وفضحت السرائر وهي خمسة حصون عظام صعبة المرام، لكل منها خندق خاص دائر به من جميع جهاته كأنه متمنطق به، وعلى شفاه الخندق خشب محددة الرؤوس دائرة كل حصن حصن أصغر منه بينهما فراغ..."⁴⁷ ، ويضيف قائلاً: "وما من موضع يمكن أن تنال منه فرصة إلا وفيه برج صغير، وقد دارت بها وبأبراجها وأسوارها الخنادق من كل جهة كأنها نطاق"⁴⁸

ولما حاول ملك المغرب مولاي إسماعيل غزو مدينة وهران سنة 1693م مرات عديدة وامتنعت عليه، قال معلقا على مناعتها: "هذه حية تحت صخرة"⁴⁹.

ومما يزيد من مناعة مدينة وهران أيام تواجد الإسبان بها احتلالهم وتمسكهم بالمرسى الكبير وزيادة مناعته كذلك، حيث يعتبر المرسى الكبير بوابة ومفتاح مدينة وهران، وهذا ما أدركه الإسبان حين احتلوه أولا قبل وهران⁵⁰، وكذلك أدرك العديد من القادة الأتراك في محاولاتهم لتحرير وهران، كما فعل حسن باشا سنة 1563م حين حاصر المرسى الكبير برا وبحرا تمهيدا لتحرير وهران لكن محاولته فشلت⁵¹.

بالإضافة إلى ذلك كان الإسبان في وهران حذرون جدا في تحركاتهم خارج أسوار المدينة التي كانت في عمومها نادرة، في حالات الغارات العسكرية فقط، كما كانت معاملاتهم حذرة مع السكان، حتى أن الجواسيس من المتعاونين مع الإسبان كانوا يدخلون المدينة معصبين العينين عندما يحضرون الرسائل الإخبارية، وكان للإسبان داخل المدينة جل ما يحتاجون إليه، من حوانيت وأسواق، وكانت هناك ثلاثة كنائس ومسرح، بها هي الأخرى ممرات أرضية⁵²، وكانت تطلب المدد من المؤن باستمرار من إسبانيا⁵³.

6- مسؤولية الجزائريين في تأمين سلطان العثمانيين في غرب حوض البحر المتوسط:

رغم أن الوجود الإسباني في الجزائر هو السبب المباشر في الوجود العثماني بالجزائر، بما أن العثمانيين أتوا إلى الجزائر بعدما استجد بهم أهلها من أجل طرد الإسبان منها، ورغم المحاولات العديدة والمتكررة لتحرير مدينة وهران إلا أن العثمانيين في الجزائر لم تكن هذه مهمتهم الوحيدة، فقد واجهتهم عدة أخطار داخلية هددت قيام دولتهم بالجزائر بالإضافة إلى أخطار خارجية، وكذلك مسؤوليتهم الجهادية اتجاه الباب العالي في حوض البحر المتوسط، كلها ساهمت في إنشغالهم عن مهمة تحرير وهران.

أ- داخليا:

• الثورات والانتفاضات الداخلية:

واجهت جهود الأتراك لتوحيد الجزائر وحماية الحدود وتحرير ما تبقى من المدن كوهرة الكثير من التمردات والثورات، ومنها من دامت لأزيد من قرنين، كثورة الذواودة في شرق الجزائر، وثورة سويد في غربها المشهورة بثورة المحال، وكانت الحرب بين هذه القبائل والأتراك سجالا، وفي الغرب أين كان الأتراك يحاولون تحرير مدينة وهران تعددت وتواصلت المعارك مع قبائل سويد في موطنهم الأصلي "شلف"، الذين رفضوا سلطة الأتراك عليهم، ولما عجزوا عن صدهم اختاروا الجلاء بدلا عن الاستسلام⁵⁴.

وبعد مقتل عروج وانشغال خير الدين بالفتح، كثرت الثورات، فتمردت مدينتا شرشال وتنس، وثار ابن القاضي أمير إمارة كوكو، حيث قام بالهجوم على خير الدين وقواته بجيش قوامه أربعين ألف، وفقد خير الدين خلال هذه المعارك ألفين من قواته⁵⁵، واستمر صراع خير الدين مع ابن القاضي لسنوات ترك خلالها خير الدين الجزائر العاصمة مما ألمه من غدر بعض وجهائها واستقر في جيحل لثلاث سنوات، ثم عاد إلى الجزائر وقضى على ثورة ابن القاضي بعد استجد أهلها به من جور ابن القاضي⁵⁶.

• الإنشغال بفتح تلمسان:

انشغل الإخوة بربروس كثيرا بفتح مدينة تلمسان مدركين صعوبة ذلك في ظل تعاون سلاطينها مع الإسبان، حيث يقول خير الدين عن ذلك: "لقد كانت تلمسان أكبر بلد في الجزائر وفتحها في غاية الصعوبة، وكان معلوما أنه ما لم تفتح تلمسان فإن الجزائر لن تعرف الاستقرار"⁵⁷.

وقد سبق ذكر بعض تفاصيل تعاون ملوك تلمسان مع الإسبان، لكن الإخوة بربروس واصلوا جهود فتح تلمسان فاستشهد الأخوان إسحاق وعروج في معارك ضد الإسبان المتعاونين مع ملوك بني زيان⁵⁸، فواصل خير الدين جهودهما إلى أن فتحها⁵⁹.

ب- خارجيا:

• تواصل الخطر الصليبي الاستعماري على سواحل الجزائر:

رغم طرد خير الدين للإسبان من أغلب سواحل الجزائر، إلا أن محاولاتهم العودة لاحتلالها ظلت مستمرة بالإضافة إلى خطر دول أخرى كإنجلترا وإيطاليا وفرنسا، وقد كانت سيطرة أسطول الجزائر على حوض المتوسط من أبرز العوامل التي ساهمت في تواصل هذه الهجمات ومنها ما يلي:

- حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م، التي اجتمعت فيها قوات تتكون من 24 ألف محارب و12 ألف بحار من جنسيات مختلفة (من إسبانيا وإيطاليا وألمانيا) على متن 65 سفينة و 45 مركبا و450 سفينة نقل، بقيادة ملك إسبانيا شارل الخامس، والقائد العسكري أندريا دوريا، لكن حسن آغا الذي كان يحكم الجزائر نيابة عن خير الدين بربروس استطاع أن يفشل هذه الحملة⁶⁰.

- التهديد الدائم للملك كارلوس باحتلال الجزائر والذي قام بتحريض ملك تلمسان بالثورة على خير الدين وأمهه بالمال فثار الملك الزياني على خير فعلا، لكن خير الدين سار إليه بجيش وأخضعه⁶¹.

- في سنة 1601م نظم الإسبان حملة عسكرية لاحتلال الجزائر، ورغم إنزال قواتهم في منطقة القبائل والسير نحو الجزائر إلا أن الأتراك هزموا الإسبان وأبادوهم سنة 1603م⁶².

- الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر سنة 1687م، حيث استطاع المرشال ديستري التضييق عليها وحصارها، مما اضطر الباي إبراهيم خوجة لرفع الحصار الذي كان قد نصبه على مدينة وهران لتحريرها، والرجوع إلى الجزائر حيث نجح في إفشال الحملة الفرنسية سنة 1688م⁶³.

• الانشغال بالجهاد البحري وإنقاذ مسلمي الأندلس:

يعتبر الجهاد البحري المهمة الأولى والرئيسية لرياس البحر العثمانيين قبل استقرارهم بالجزائر فهو بالإضافة إلى كونه جهادا في سبيل الله ضد الصليبيين الحاقدين، فهو يعتبر دفاعا متقدما عن أراضي الإسلام خاصة بعد استقرار الإخوة بربروس في الجزائر وتأسيس إيالة عثمانية بها، كما كان الجهاد البحري يعود على المسلمين الأتراك في شمال إفريقيا بالفائدة الاقتصادية بفضل ما يحصلون عليه من غنائم وبفضل الإتاوات التي كانوا يفرضونها على السفن التجارية، ولهذا يسمى المؤرخون الأوروبيون هذه العمليات بالقرصنة البحرية، وساهم الجهاد البحري في البحر المتوسط بشكل كبير في إنقاذ مسلمي الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة سنة 1492م.

يقول خير الدين بربروس في مذكراته أن الحملات التي شنت على السواحل الجنوبية لإسبانيا بلغت 21 حملة (حتى تاريخ كتابته لمذكراته)⁶⁴، ويروي الحملة التي قادها بعد زيارته لإسطنبول فيقول: "خرجت من إسطنبول في ثمانين سفينة حتى بلغت موانئ مضيق مسينا (صقلية) فاستوليت عليها وحملت 16 ألف أسير في سفني.. ثم قمت بفتح 18 قلعة... وحصلت على أربعمائة وخمسة وعشرين صندوقا كبيرا من الغنائم وسفن كثيرة..."⁶⁵.

"وقد أخذت الجرأة رياس البحر الجزائريين للإغارة على السفن الإسبانية في عرض المحيط الأطلسي، المسلحة تسليحا ثقيلا والمحملة بالذهب والفضة والبضائع الفاخرة وهي راجعة من أمريكا اللاتينية، كما فاجأو أكثر من مرة سكان شواطئ خليج غسكونيا وسواحل بحر المنش⁶⁶، وفي سنة 1616 أغار مراد رايس على شواطئ إيسلاندا، وفي سنة 1619 أكتسح رياس البحر جزيرة ماديرا البرتغالية، وشواطئ بحر إنجلترا سنة 1631م⁶⁷.

وعادة ما كانت هذه الحملات خاصة منها نحو إسبانيا تعود محملة كذلك بمسلمي الأندلس بعدما يتم تخليصهم من النصارى، وأحيانا كانت تنظم حملات لمساعدتهم في ثوراتهم على النصارى في إسبانيا، لأن بقية مسلمي إسبانيا في الجنوب كانوا دائما على أهبة الاستعداد للقيام بثورات، ومنها أنهم راسلوا العلي بالجزائر يطلبون المدد والعون لذلك، فأرسل لهم جيشا عظيما من 14 ألف من الرماة و60 ألف مجاهد جزائري، وجعل من أهداف الحملة كذلك تحرير وهران، لكنها أخفقت لسوء تصرف أحد رجال الثورة الذي كشف الأمر فسهل مهمة الأساطيل المسيحية، خاصة بعد تعرض الحملة لعاصفة بحرية أغرقت 33 من سفنها وكان ذلك سنة 1569 م⁶⁸.

• خطر السعديين وسلاطين المغرب الأقصى:

لقد شكل التواجد العثماني بالجزائر ومحاولات تمديد سلطانهم في البلاد المجاورة خطرا على الدولة السعدية بالمغرب الأقصى والتي كان لها أطماع من أجل إعادة توحيد بلاد المغرب تحت سلطانها، ولهذا فقد حاول ملوكها باستمرار السيطرة على المناطق المجاورة كتلمسان ووهران فكان لهم مع الأتراك عدة معارك ساهمت في تأجيل فتح مدينة وهران. ومن ذلك أن السلطان السعدي الشريف محمد المهدي وضع تحت قيادة ابنه الشريف محمد الحران جيشا لفتح تلمسان وبلاد المغرب الأوسط سنة 1550 م استجابة لنداء بعض قبائل تلمسان التي كانت في ثورات متواصلة ضد الملك الزياني الذي نصبه حسن باشا في تلمسان، فحاصر الجيش المغربي تلمسان تسعة أشهر، ثم استولى عليها سنة 1551 م وفر السلطان الزياني إلى إسبان وهران، بعد ذلك تقدم الجيش المغربي نحو مستغانم فواجهه حسن باشا بجيشه وأرغمه على الانسحاب⁶⁹، على إثر ذلك تم إنهاء الحكم الزياني رسميا سنة 1552 م⁷⁰.

كما حاول الشريف السعدي في سنة 1555 م عقد معاهدة مع إسبانيا للتعاون العسكري من أجل الطرد النهائي للأتراك من إفريقيا بمساعدة إسبان وهران، لكن العثمانيين في الجزائر تفتنوا للأمر فأرسلوا جيشا لمهاجمة وهران وتحريرها، وبعد حصار وضرب للحصون والأسوار أوشك الجيش أن يفتح وهران لكن الخطر الصليبي الذي كان يهدد الخلافة العثمانية عجل برفع الحصار وانتقال القوات المحاصرة بقيادة حسان قورصو لدعم القوات العثمانية في البحر المتوسط⁷¹.

في سنة 1618 م وفي حملة إخضاعه لثورات قبائل الأطلس في المغرب وصل السلطان مولاي محمد إلى مشارف تافنة دخل في معارك متواصلة مع الأتراك حول الحدود انتهت بتوقيع معاهدة سنة 1647 م⁷². وفي سنة 1692 م حاول مولاي إسماعيل السيطرة على منطقة الغرب الجزائري ووهران وطرد الإسبان منها، لكن داي الجزائر حاج شعبان استطاع هزم القوة المغربية وطردها، ثم عاود مولاي إسماعيل الكرة سنة 1693 م لكنه فشل في حصاره على وهران⁷³.

وفي معركة جديوة سنة 1701 م انهزم مولاي إسماعيل مرة أخرى ضد الأتراك في محاولة متكررة للسيطرة على الغرب ووهران، تبعثها محاولة أخرى في سنة 1703 م أفشلها باي معسكر أبو الشلاغم.

هذه المحاولات المتعددة للسيطرة على الغرب الجزائري ووهران أنتجت تفاربا بين الأتراك والإسبان لفترة من الفترات في ظل وجود عدو واحد، ففي سنة 1700 م عقد الملك فيليب الخامس مع داي الجزائر معاهدة عسكرية تجعل من وهران نقطة إرتكاز للقوة العثمانية في حربها مع سلطان المغرب، بموجبها يتعهد الإسبان بتسهيل مرور السلاح والمؤن والذخيرة للقوة العثمانية، وفي المقابل يحصل الإسبان على هدنة وتمثيل دبلوماسي في الجزائر⁷⁴.

إن هذا الصراع المتواصل بين العثمانيين في الجزائر وسلاطين المغرب والذي أنتج تفاربا في بعض الأوقات بين الأتراك وإسبان وهران أجل وأعاق محاولات فتح وهران⁷⁴.

• الوصاية على إيالة تونس وحماية سلطة العثمانيين فيها:

كانت تعتبر إيالة الجزائر العثمانية وصية على التواجد العثماني في تونس، فأخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على الاستقرار فيها، والدفاع عنها من خطر الهجمات الصليبية، خاصة وأن تونس لم تشهد الاستقرار في نظام الحكم العثماني بها في ظل محاولة سلاطينها الاستقلال عن الباب العالي وتعاونهم مع النصارى لتحقيق ذلك. من ذلك أن الملك كارلوس لما استولى على حلق الوادي في تونس تعاون مع السلطان الحفصي مولاي حسن ضد قوات خير الدين في صراعة لإخضاع تونس، وقد تكبد خير الدين في هذه المعارك خسائر كبيرة واستشهد الآلاف من جنوده، واضطر إلى الانسحاب إلى عنابة⁷⁶.

وفي سنة 1569م توجه جيش جزائري إلى تونس في مهمة لإنقاذها من الخطر الصليبي، وفي عام 1574م شارك الجيش الجزائري برفقة الجيشين العثماني و الليبي في تحرير تونس من قبضة القائد دوق جوان النمساوي و ملك لاسباني فيليب الثاني اللذان احتلوها عام 1573م⁷⁷.

كما تعدد تدخل الجزائر العسكري في تونس لإخضاعها لسلطة العثمانيين إثر محاولات سلاطينها من الأسرة المرادية والحسينية الخروج عن طاعتهم، ومن ذلك أن داي الجزائر حاصي مصطفى زحف على تونس بجيشه سنة 1705م واستولى على المدينة لإنهاء صراع الحكم فيها والقضاء على المقاومة التونسية التي حاول من خلالها حسين بن علي مؤسس عهد الحسينيين غزو الجزائر⁷⁸.

• الالتزامات اتجاه تمديد سلطان الدولة العثمانية والدفاع عنها:

كانت الدولة العثمانية تعتمد بشكل كبير على الأسطول البحري الجزائري في معاركها مع الدول الأوروبية، بالنظر لتجربة هذا الأسطول الحربية ومعرفته بمسالك البحر المتوسط على وجه خاص. ومنها أن حسن باشا شارك بقواته في جيش الدولة العثمانية الذي قدر بـ 45 ألف جندي، والذي وجهه السلطان لضرب مالطة سنة 1566م من أجل إيقاف الحملات الصليبية التي كانت تنطلق من هناك⁷⁹. في عام 1571م اندلعت معركة ليبانت البحرية بين الإمبراطورية العثمانية والدول الأوروبية المسيحية في ليبانت بسواحل اليونان، شارك فيها الأسطول الجزائري وانهزم فيها الأسطول العثماني، وهنا بدأت مطامع فرنسا في الاستيلاء على الجزائر⁸⁰.

وفي حملة حسن قورصو على وهران لتحريرها سنة 1556م، وبعد وفرض الحصار عليها وفتح حصن رأس الهي والشروع في التضييق على باقي الحصون أرسل باي الجزائر إلى حسن قورصو بصفة استعجالية ويطلب منه رفع الحصار والعودة إلى مدينة الجزائر لمواجهة حملات القرض الإيطالي المدعم من طرف قوات ملوك وأمراء أوروبا والبابا ضد الدولة العثمانية وذلك في المياه الشرقية فامتثلا، وضاع بذلك فتح وشيك⁸¹.

كما أن التزامات إيالة الجزائر اتجاه الباب العالي في علاقاته الدولية السياسية والعسكرية والاقتصادية، كانت في بعض الأحيان تعيق مهمة تحرير وهران، حيث مارس الباب العالي ضغوطا على الجزائر بسبب معاهدة الصلح المبرمة بينه وبين إسبانيا سنة 1786م للحفاظ على المصالح التجارية والعسكرية المشتركة، حيث اشتكى الجانب الإسباني من الهجمات المتكررة على وهران والمرسى الكبير وهذا ما خلق صعوبات للجزائر التي تجاهلت في في العديد من الأحيان هذه الضغوطات⁸².

خاتمة:

لقد شكل التواجد العثماني في الجزائر مركزا للجهاد ضد الخطر الصليبي في حوض البحر المتوسط، حيث نجح في تحرير أغلب المدن الساحلية للمغرب العربي التي احتلها الإسبان نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، لكن وهران استعصت على الفتح لأسباب وعوامل عديدة، منها تعاون بني زيان وبعض القبائل كبنى عامر مع الإسبان ضد العثمانيين، وكذلك مناعة المدينة الطبيعية الجغرافية من جهة، ومناعتها بأسوارها وبروجها التي شيدتها الإسبان من جهة أخرى، في إطار سياسة تمسك الإسبان الشديد بالمدينة بما أنها أصبحت هي والمرسى الكبير آخر مناطق تواجههم بالجزائر مستعنيين في ذلك بالدعم الأوربي المسيحي المطلق عن طريق إرسال المؤن والممدد العسكري كلما تطلب الحال. بالإضافة إلى ذلك فقد انشغل العثمانيون بالجزائر عن تحرير وهران رغم تواصل محاولات التحرير، بالعديد من المسؤوليات، كتأمين تواجدهم داخل الجزائر بالقضاء على ثورات القبائل وثورات الجند، وكذلك فتح تلمسان التي كانت لا تزال بيد الزيانيين المتعاونين مع الإسبان، والدفاع عن الجزائر من الأخطار الخارجية، في ظل تواصل الحملات الصليبية الأوروبية، وكذلك خطر السعديين وملوك المغرب الأقصى. هذا وبقي العثمانيون في الجزائر ملتزمون بمواصلة الجهاد البحري وإنقاذ ما تبقى من مسلمي الأندلس، كما واصلوا تلبية دعوة الجهاد مع الدولة العثمانية في حروبها ضد الدول الأوروبية الصليبية وتأمين أراضيها والولايات التابعة لها خاصة تونس التي كانت تحت وصاية العثمانيين بالجزائر.

الهوامش:

1. Henri-Leon Fey, Histoire D'Oran, Avant Pendant Et Après La Domination Espagnole. Typographie Adolphe Perrier éditeur, Oran, 1858, p 29.
2. L. Didier, Histoire d'Oran, période 1501-1550, Imprimerie Jean d'Arc, Oran, 1927, p8.
3. أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 114.
4. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 30.
5. أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص 114.
6. ابن حوقل؛ صورة الأرض، ط 2، مطبعة برلين ليدن للنشر والتوزيع، هولندا، 1938، ص 77.
7. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 115.
8. المرسى الكبير مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان، تمتد بضعة أميال عن وهران، بها ميناء كبير يمكن أن ترسو فيه مائة مركب؛ الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 31.
9. Henri-Leon Fey, Op.cit, p53.
10. Ibid, p56.
11. أدرك الإسبان أن المرسى الكبير هو مفتاح مدينة وهران لهذا كان هدفهم الأول؛ أنظر: L. Didier, Op.cit, p07.
12. H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turc, Ernest Leroux Edition, Paris, 1887, p10 ; Louis Abadie, Oran et mers el kebir, vestiges du passé espagnol, Edition Jaques Gandini, France, 2002, p45.
13. Alfred Salinas, Oran la Joyeux mémoire franco-andalous d'une ville d'Algérie, l'Harmattan, France, 2004, p p 55-56.
14. ابن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص 187-188.
15. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص 30.
16. L. Didier, Op.cit, p3-4.
17. نركز في دراستنا على مدينة وهران لأن المرسى الكبير وإن كانت هي الأخرى قد استعصت على العثمانيين كمدينة وهران، لأن المرسى الكبير مرتبطة جغرافيا وسياسيا بمدينة وهران.
18. ابن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 101.

19. أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص13
20. الراشدي، المصدر السابق، ص14.
21. خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 89-93.
22. Laugier De Tassy, Histoire Du Royaume D'Alger, p150-151.
23. extrait de la revue africaine, documents inedits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574), a. Jourdan, libraire-editeur, alger, 1875, p13-14.
24. Laugier De Tassy, ibid, p152.
25. G. Faure-Biguet, Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane, Edition militaire HGL, Paris (S.D), p323.
26. الراشدي، المصدر السابق، ص30.
27. نفس المصدر، ص24.
28. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 476-477.
29. الراشدي، المصدر السابق، ص11
30. معركة بروزة أو بريفزا معركة وقعت في 28 سبتمبر 1538 م بالقرب من ميناء بريفزا غربي اليونان، وانتصر فيها الأسطول العثماني على تحالف الرابطة المقدسة الصليبي الذي نظمه البابا يوليس الثالث، كانت معركة هائلة تحركت لها أوروبا استجابة لنداء البابا في روما، فتكونت حملة صليبية من أسطول مكون سفن حربية وجنود من إسبانيا والنمسا والبنديقية. ويقوده قائد بحري من أعظم قادة البحر في أوروبا هو أندريا دوريا من جنوة: L. Didier, Op.cit, p275
31. مذكرات خير الدين، ص186.
32. Fray Diego de Haëdo, , Histoire des rois d'Alger, traduite et annotée par H.-D. de Grammont, Adolphe Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1881, p128-129 ; fray Diego de Haëdo , De la captivité à Alger , traduite par Moliner-Violle, Adolphe Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1911, p256.
33. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 476-477.
34. الراشدي، المصدر السابق، ص12.
35. ابن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص188.
36. المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبد الرحمن الدويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص91: نقلا عن: عبد القادر بن عبد الله المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان من الأعراب كبني عامر الذي ألفه سنة 1178هـ: الراشدي، الثغر الجماني، ص243.
37. ابن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص196.
38. البوعبدلي، تاريخ المدن، ص586.
39. G. Faure-Biguet, Op.cit, p292 .
40. L. Didier, Op.cit, p06.
41. ابن حوقل ؛ صورة الأرض، ص77.
42. ابن يوسف الزياتي، دليل الحيران، ص208.
43. بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص233.
44. Louis Abadie, Op.cit, p66.
45. Fray Diego de Haëdo, , Histoire des rois d'Alger, p150.
46. الراشدي، الثغر الجماني، ص199.
47. الراشدي، الثغر الجماني، ص200.
48. نفسه، ص202.

49. الراشدي، المصدر نفسه، ص 192: G. Faure-Biguet, Op.cit, p354.
50. L. Didier, Op.cit, p7.
51. G. Faure-Biguet, Op.cit, p292.
52. Lapène, Édouard , Tableau historique de la province d'Oran, depuis le départ des Espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation d'Abdel-Kader en 1831, imprimerie de l'académie de Metz, France, 1842, p6-7.
53. Louis Abadie, Op.cit, p46 :87-86 ص ص
54. الراشدي، المصدر السابق، ص ص 34-35.
55. مذكرات خير الدين، ص 114.
56. نفسه، ص ص 127-128.
57. مذكرات خير الدين، ص 86.
58. نفسه، ص 93.
59. نفسه، ص 103.
60. بسام العسلي، خير الدين بربروس، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 144-153.
61. مذكرات خير الدين، ص ص 154-155.
62. Faure-Biguet, Op.cit, p328.
63. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 433-434.
64. مذكرات خير الدين، ص 158.
65. نفسه، ص 170.
66. H.D de Grammont, p 129
67. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج 1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 72.
68. نفسه، ص 396-394.
69. أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص ص 326-327: Fray Diego de Haëdo, Histoire des rois d'Alger, p76-79
70. Faure-Biguet, Op.cit, p281 .
71. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 360-367.
72. Faure-Biguet, Op.cit, p317.
73. Ibid, p p 353-354.
74. Alfred Salinas, Op.cit, p p 73-74.
75. G. Faure-Biguet, Op.cit, p355.
76. مذكرات خير الدين، ص 174-177.
77. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 397.
78. وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر والنوزيع، الجزائر، 2006، ص 163.
79. Ismail Terki Hassaine, Relation entre Alger et Constantinople sous la gouvernement de dey Mohamed ben Othman Pacha (1766-1791) selon les sources espagnols, document télécharger du site internet de la Revu d'université d'Ankara, <http://dergiler.anakra.edu.fr>, le : 20/11/20015, p295.
80. مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 74.
81. عبد الحميد شكرون ، العثمانيون ، بيروت ، 1997 ، ص 58.
82. Ismail Terki Hassaine, Op.cit, p 189-192.